جورج باركلي (1685_ 1753)

أ_ حياته:

ولد جورج باركلي سنة 1685 في إيرلندا من أسرة إنجليزية الأصل بروتستانتية المذهب، عندما بلغ السادسة عشرة من عمره دخل جامعة دبلين حيث كان لمؤلفات ديكارت جون لوك نيوتن الحظ الأوفر في الساحة الفكرية والفلسفية، وبعد سبع سنوات حصل على الأستاذية في مجال الفنون نشر رسالتين صغيرتين إحداهما في الحساب والأخرى في بحوث رياضية متفرقة عين مدرسا في الجامعة 1707 في اللغة اليونانية والعبرية ثم اللاهوت بعد سنتين تم ترقيته في الكنيسة إلى مرتبة القس وفي سنة 1713 قصد لندن يدعون الناس لاعتناق مذهبه وتعرف إلى مشاهير الكتاب ونشر ثلاث محاورات بين هيلاس وفيلونوس هي عرض أدبي وفي اللامادية، أما هيلاس هو الفيلسوف المادي كما يدل عليه اسمه المشتق من هيلي أي: هيولي وأما فيلونوس فهو صديق العقل الناطق بلسان المؤلف وينتهي الحوار بإقناع هيلاس باللامادية، عرض له ما دفعه للسفر فقضى عشرة أشهر في فرنسا وإيطاليا 1713و 1714 ثم عاد إلى إنجلترا وبعد سنتين قصد إيطاليا وأقام فيها خمس سنوات اهتم هناك بالجيولوجيا، والجغرافيا وفي سنة 1721 عاد مر بمدينة ليون الفرنسية كتب أشياء في علة الحركة وهو موضوع اقترحه على أكاديمية العلوم بباريس فوضع رسالة في الحركة هاجم فيها الفلسفة الطبيعية لنيوتن فخطر له سنة 1723 على أن ينفق إرث حصل عليه في نشر المسيحية في الممتلكات الإنجليزية بأمريكا واعتزم أن يؤسس لهذا الغرض في جزر برمودا معهد لتخريج مبشرين يضطلعون بهذه المهمة ولكن المشروع فشل بعض بضعة أشهر أصيب بشلل كلي أودى به.

2_ مؤلفاته:

_ بحث يتعلق بمبادئ المعرفة البشرية 1710

_ الخضوع السلبي 1712

_ محاورات ثلاث بين هيلاس وفيلونوس 1713

_ علة الحركة 1721

أ_ الادراك والوجود:

كلمة الوجود يقول بركلي:" إن الوجود هو مدرك والمدرك هو الأفكار والمدرك هو العقل وخلاف ذلك وهم" يقصد بالوجود المدرك الأفكار المدركة مباشرة بالحس أي الأشياء المحسوسة لذلك فالفكرة عند باركلي ليست صورة أو نسخة لموضوع خارجي كما يرى لوك بل هي الموضوع ذاته هي الأنهار، الأشجار، المنازل... هي تلك الموضوعات المحسوسة التي نراها ونشعر بها كل موضوع محسوس هو مجموعة من الأفكار أو الكيفيات المحسوسة كاللون، الشكل، الامتداد...الخ وجميع تلك الكيفيات الثانوية كانت أولية هي أفكار مدركة مباشرة في الحس ولا وجود لها بمعزل عن العقل كل شيء محسوس يجب أن يدرك مباشرة بواسطة الحواس ذلك أن الوجود المتحقق للموجود غير المفكر قائم في الادراك.

ب_ اللامادية:

إن أي موضوع جزئي يوجد أمامك في مجال الإدراك الحسي تجد أن هذا الموضوع مكون من لون معين، ورائحة وشكل وهيئة وصفات محسوسة أخرى نلاحظ أنها متلازمة معا وقد تثير فيك مشاعر سارة أو مستهجنة وتثير انفعال حب، كراهية، فرح، حزن وهكذا إن ما نعيه عندما تدرك أي موضوع مادي مزعوم هو تجمع من صفات محسوسة.

تمثل اللامادية عند جورج باركلي مذهبا فلسفيا مثاليا يقوم على انكار وجود المادة بوصفها جوهرا مستقلا عن الادراك، وتأسيس الوجود كله على الفكر والادراك. وقد جاء هذا التصور في سياق نقد الفلسفة التجريبية، خاصة عند جون لوك، الذي ميز بين الصفات الاولية والصفات الثانوية، حيث اعتبر الاولى قائمة في الاشياء ذاتها، بينما الثانية مجرد انطباعات في الذهن. غير ان باركلي رفض هذا التمييز، مؤكدا ان جميع الصفات، سواء كانت امتدادا او لونا او حركة، لا توجد الا بوصفها مدركات حسية، وبالتالي لا يمكن القول بوجود مادة قائمة وراء هذه الادراكات. ينطلق باركلي من مبدئه الاساسي القائل ان الوجود هو ان يدرك، ليؤكد ان كل ما يوجد انما يوجد في الذهن، وليس هناك وجود لشيء خارج الادراك. فالعالم في حقيقته ليس مجموعة من الاجسام المادية، بل هو نسق من الافكار الحسية التي تظهر للعقل. فالشجرة مثلا ليست شيئا ماديا قائما بذاته، بل هي مجموعة من الاحساسات كالشكل واللون والملمس، وهذه كلها لا معنى لها خارج الادراك. ومن هنا تصبح المادة مجرد فرض لا يمكن اثباته، بل هي تصور ميتافيزيقي لا ضرورة له.

يقوم هذا المذهب على التمييز بين الافكار والارواح، حيث ان الافكار هي موضوعات الادراك، وهي سلبية لا تملك اي فاعلية، بينما الارواح هي الكائنات المدركة الفاعلة التي تقوم بعملية الادراك. ولا يمكن للافكار ان توجد دون ان تدرك، كما لا يمكن رد الارواح الى مجرد افكار، بل هي جوهر بسيط مدرك. وبذلك يحصر باركلي الوجود في نوعين فقط: عقول تدرك وافكار تدرك، دون الحاجة الى افتراض مادة مستقلة.

غير ان هذا التصور يطرح اشكالا يتمثل في استمرار وجود الاشياء عند غياب الادراك الانساني، وهنا يستدعي باركلي دور الله بوصفه العقل المطلق الذي يدرك كل شيء بشكل دائم. فبفضل هذا الادراك الالهي المستمر، تظل الاشياء موجودة حتى عندما لا يدركها الانسان، مما يضمن ثبات العالم وانتظامه. وهكذا يصبح الله شرطا اساسيا لقيام الوجود، وليس مجرد فكرة دينية خارج النسق الفلسفي.

تهدف اللامادية عند باركلي الى تبسيط المعرفة بردها الى الادراك المباشر، والتخلص من الفرضيات الميتافيزيقية الغامضة، كما تسعى الى مواجهة النزعات المادية والالحادية من خلال ربط العالم بالعقل الالهي. فهي تجعل من الادراك اساسا لكل وجود، وتؤكد ان ما نسميه بالعالم الخارجي ليس الا مجموعة من الافكار المرتبطة بعقل مدرك.

ورغم تماسك هذا البناء الفلسفي، فقد تعرض لانتقادات عديدة، اذ اعتبره بعض الفلاسفة مؤديا الى نزعة ذاتية متطرفة تنكر وجود واقع موضوعي مستقل، كما يطرح صعوبة في تفسير اتفاق الناس على إدراك نفس الاشياء، اضافة الى تعارضه مع التصور العلمي الذي يفترض وجود عالم مادي مستقل عن الوعي. ومع ذلك تبقى اللامادية عند باركلي محاولة فلسفية عميقة لإعادة التفكير في العلاقة بين الوجود والادراك، حيث يصبح الفكر ليس مجرد وسيلة لمعرفة العالم، بل اساسا لوجوده ذاته.

ج_ الله والإدراك:

يتحدد معنى الله والادراك في فلسفة جورج باركلي انطلاقا من مبدئه الأساسي القائل ان الوجود هو ان يدرك، حيث لا يكون للشيء وجود حقيقي الا بقدر ما يكون موضوعا لإدراك عقل ما وبناء على ذلك، يصبح الادراك ليس مجرد وسيلة لمعرفة العالم، بل شرطا لوجوده، اذ تختزل الاشياء في كونها مجموعة من الأفكار الحسية التي لا تقوم الا داخل الذهن.

غير ان ربط الوجود بالإدراك يثير اشكالا فلسفيا يتمثل في مصير الأشياء عند غياب الادراك الانساني، وهنا يتدخل مفهوم الله ليؤدي دورا حاسما في بناء النسق. فالله عند باركلي هو العقل المطلق الذي يدرك كل الاشياء ادراكا دائما لا ينقطع، وبذلك يضمن استمرار وجود العالم حتى في حال غياب الادراك البشري فالأشياء لا تفنى عندما لا نراها، بل تظل موجودة لأنها حاضرة في الادراك الالهي.

ويفهم الإدراك عند باركلي على مستويين:

_ إدراك انساني.

_ وإدراك إلهي فالإدراك الانساني جزئي ومحدود، يرتبط بالحواس ويتغير بتغير الظروف، في حين ان الادراك الالهي كلي وثابت، لا يخضع للانقطاع أو التغير ومن هنا تكون العلاقة بينهما علاقة تبعية، اذ ان إدراك الانسان للعالم هو في حقيقته مشاركة محدودة في نظام ادراكي اشمل يقوم على إدراك الله.

كما أن الافكار الحسية التي ندركها لا تنشأ من ذاتنا بشكل حر، بل تفرض علينا وفق نظام ثابت، وهذا يدل على وجود فاعل اعلى ينظم هذه الادراكات ويمنحها انسجامها، وهو الله. فالعالم في نظر باركلي ليس مادة مستقلة، بل نسق من الافكار المرتبطة بعقل إلهي ينظمها ويضمن ترابطها.

يتضح من ذلك ان معنى الله عند باركلي ليس مجرد تصور ديني، بل هو مبدأ فلسفي ضروري يضمن وجود العالم واستمراره، بينما الادراك هو الاساس الذي يقوم عليه الوجود ذاته. فالعلاقة بينهما علاقة تأسيسية، حيث يشكل الادراك الالهي الشرط النهائي لكل وجود، ويجعل من العالم نسقا من الافكار المرتبطة بعقل مطلق.

خلاصة:

تقوم فلسفة جورج باركلي على مذهب اللامادية الذي ينكر وجود المادة بوصفها جوهرا مستقلا، ويؤكد ان الوجود مرتبط بالإدراك، وفق مبدئه الشهير القائل ان الوجود هو أن يدرك فالعالم عنده ليس مجموعة من الأشياء المادية، بل هو نسق من الافكار الحسية التي لا تقوم إلا داخل الذهن، مما يجعل الادراك اساس كل وجود.

يميز باركلي بين الأفكار والأرواح، حيث تمثل الأفكار موضوعات الإدراك وهي سلبية، بينما الارواح هي الكائنات المدركة الفاعلة ولا يمكن للأشياء أن توجد خارج إدراك عقل ما، لذلك تصبح العلاقة بين الذات والعالم علاقة ادراكية خالصة غير ان استمرارية وجود الاشياء لا ترتبط بالإدراك الانساني المحدود، بل يضمنها وجود الله بوصفه عقلا مطلقا يدرك كل شيء بشكل دائم.

تهدف فلسفة باركلي الى تبسيط المعرفة بردها الى التجربة الإدراكية المباشرة، والتخلص من الفرضيات الميتافيزيقية الغامضة مثل فكرة المادة، كما تسعى الى الدفاع عن الدين من خلال ربط الوجود بالإدراك الإلهي وبذلك يقدم باركلي تصورا مثاليا يجعل من الفكر والادراك أساسا للواقع، ويحول العالم الى تجربة ذهنية منظمة تقوم على علاقة دائمة بين العقل الانساني والعقل الالهي.